مؤتمر الشعب العربي

ندوة الغزو الثقافي للأزمة العربية،

تونس

إبريل 1982م.

وسائل الإعلام العربية والإنسلاب الثقافي

الدكتور صالح أبوأصبع

وسائل الإعلام الغربية في الإنسلاب الثقافي

- مدخل
- الغزو الثقافي ظاهرة عالمية
- ما هو الإنسلاب
- ماذا تريد الامبريالية الثقافية
- وسائل الاتصال المعاصرة والهيمنة الغربية في ثماني مجالات
- تأثير وسائل الاتصال من خلال التزويد بالمعلومات
- التلفزيون الوسيلة الاتصالية الخطيرة
- دور الفضائيات والإنترنت [1]
- الانترنت الوسيلة الاتصالية الأحدث والأخطر
- نتائج الغزو الثقافي الغربي

[1] تم إضافة هذا الجزء لاستكمال عناصر البحث بعد ات أصبح الانترنت جزءا من حياة الناس اليومية

وسائل الإعلام العربية والإنسلاب الثقافي

الدكتور صالح أبوأصبع

مدخل :

في البدء قبل ان نخوض في بحثنا المقترح عنوانه "وسائل الإعلام الغربي والإنسلاب الثقافي" فانني احب أن اشير الى بعض الأمور الفنية والمنهجية.

أولا- أنني افضل استخدام كلمة الإنسلاب بدلا من الاستلاب، ذلك لأن الأولى تشخص حالة المغزو المنسلب، بينما الثانية تشخص حالة الغازي المُستلِب....وطبيعي اننا معنيون بحالتنا نحن المغزووين.

ثانيا- إن دراسة تأثير وسائل الإعلام على المواطن العربي بشكل عام لم تلق عناية كافية – هذا اذا وجدت – من علماء الاجتماع والإعلام في الوطن العربي.. ومن ثم فان الحديث عن الامبريالية الثقافية يظل في أحسن الاحوال شيئاً نشمه، ولكننا لا نستطيع ان نمسك به وذلك لنقصان الابحاث-بل وانعدامها- التي تدرس تأثير البرامج الإعلامية الغربية كأشرطة الإذاعة المرئية وسينما على الجماهير العربية، وكذلك لنقص الدراسات التي تبحث بمدى تأثير قصص الأطفال والمجلات المترجمة أمثال السوبر مان والوطواط على الطفل وتكوين مثله وقيمه وسلوكه.

وأيضا لنقص الدراسات التي تحلل مضمون صحافتنا العربية، وتكشف مدى ما تقدمه من مادة أصيلة أو مقتبسة، ومدى تأثيرها على القارئ، ولذا فان البحث الميداني

والمسحي مفتقد وهو الاساس الذي يمكن ان يعتمد عليه في دراسة تأثير وسائل الإعلام على الإنسلاب الثقافي.

ثالثا- للسبب السالف، فان هذه الدراسة تقدم اطار نظريا لدراسة تأثير وسائل الإعلام الغربية على المواطن العربي، وخلق حالة انسلاب ثقافي لديه.

رابعا - لا يمكننا ان نعزو سبب الإنسلاب الى غزو الثقافة الغربية لثقافتنا العربية لوحدها، ذلك يمكن أن يكون تعميما ضارا، يؤدي الى تجاهل كل الاسباب الحقيقة التي تؤدي بمواطن ما الى حالة الإنسلاب.

ان الثقافة، الغربية بلا شك عامل هام من العوامل التي تؤدي الى الإنسلاب، ولكن يجب ان نشير الى ان المناخ السياسي والاجتماعي الذي يعيش فيه المواطن العربي يخلق جوا يهيئ حالة الإنسلاب ويدفع اليها. ان كبت الحريات والقمع الذي يلقاه المواطن العربي نفسيا وجسديا، وان الاحباطات التي يواجهها المواطن على مستوى القضايا القومية، هذه العوامل كلها تؤدي الى خلق فرص تهيء لقبول حالة الإنسلاب وتعزيزها. هذه اشارة ضرورية لنعرف ان نجاح الغزو الثقافي الغربي يتعزز من خلال عوامل داخلية سياسية واجتماعية ونفسية, وهنا لن نخوض في هذا الجانب، نظراً لطبيعة البحث سوف نقتصر على دور وسائل الإعلام الغربية في الإنسلاب الثقافي.

الغزو الثقافي ظاهرة عالمية:

الامبريالية الثقافية ظاهرة عالمية في عصرنا الحاضر، وكما نعاني منها تعاني منها دول العالم النامية كافة، ودول العالم المتقدمة سواء بسواء وان اختلفت الدرجة.

وتختلف خطورة الامبريالية الثقافية من بلد الى آخر، وبمقدار ما تقترب ثقافة الغازي من المغزو تضيق حدود الأهمية، وكذلك بمقدار ما تواجه الثقافة الغازية من مقاومة من الثقافة المغزوة، فإن الخطورة تتضاءل. ولكن المسألة بالنسبة للوطن العربي شيء آخر فالثقافة العربية لا تواجه الثقافة الغازية في إطار موحد، إذ إن الكيانات الاقليمية ينعدم

فيما بينها التنسيق لمواجهة الغزو الثقافي الامبريالي الغربي، ومن ثم فالقضية بالنسبة للإنسان العربي تصبح مهددة لثقافته.

اننا في هذا العصر نواجه ما اسماه ثوماس ماك فيل Thomas Mcphail (1980 ص-20) بالإمبريالية الالكترونية والتي يعرفها بقوله:-

" بأنها علاقة التبعية التي تأسست باستيراد معدات الاتصال والبرامج الأجنبية ومعها المهندسين والفنيين، وما يتعلق بها من برتوكولات ومعلومات، وذلك بخلق الأسس لمجموعة من المعايير والقيم الأجنبية والتوقعات والتي يمكن ان تغير الثقافة المحلية وعمليات التنشئة الاجتماعية الى درجات مختلفة، فالاستيراد يتنوع من الكتب الهزلية الى الاقمار الصناعية، ومن الكمبيوتر الى الليزر وبجانبها السوق الاكثر تقليدية مثل البرامج الاذاعية والمسرح واشرطة الخيالة وخدمات البرق وعروض الإذاعة المرئية".

ما هو الإنسلاب ؟

ان ما يعنينا هنا هو دراسة تأثير الامبريالية الالكترونية على حالة الإنسلاب الثقافي في الوطن العربي.

ان الإنسلاب حالة نفسية تؤدي بالفرد الى الانسلاخ عن ثقافته وتبني ثقافة ذات قيم غربية، كتب شاتز ورفيقه ونتر (Schatz & Winter) (1966 ص – 319) " بأن امكانية الإنسلاب قائمة حيثما كان الإنسان – سلبا أو ايجابا – يرتبط بالعالم الموضوعي المحيط به من أجل العثور على ذاتيته وتوافقها مع نفسه ، على الرغم من اختلافها عن هذا العالم، ومن ثم فأن الإنسلاب يصبح مرادفاً للتنافر مع ثقافة المجتمع".

ان الإنسلاب بأبسط تعريفاته حسب ما يراه جاك الول (Jacques Ellul) (1973ص - 169) هو " ان تصبح مُنسلبا هو ان تصبح شخصاً غريباً آخر أكثر من كونك نفسك، وكذلك يمكن أن تعني أن تصبح خاصاً بشخص آخر، وبمعنى آخر فان هذا يعني انسلاخ الشخص عن نفسه ليصبح خاضعاً، وحتى متمثلاً بشخص آخر".

ويرى جاك الول بأن تحقيق حالة الإنسلاب هو هدف من أهداف الدعاية التي تلتزم بتوظيف وزيادة وتدعيم ميل الشخص بفقدان ذاته في أمر أكبر منه كنزاع بطمس شخصيته، ويحرر فيه الأنا من كل شك وصراع ومعاناة من خلال الذوبان مع الآخرين، ومن ثم فإن هذه الدعاية تخلق حاجات مصطنعة في انفسنا كزيادة في الرغبات والهوى والحاجات غير الضرورية.

وهذه الحاجات المصطنعة تفترض أهمية معقولة بسبب طبيعتها العالمية ، وبسبب وسائل الإعلام التي تم بها التحريض على تلك الحاجات . وتصبح مطلوبة وضرورية للفرد أكثر من احتياجاته الخاصة ، ومن ثم فإنها تقوده إلى التضحية برغباته الخاصة، وما يجري في الاقتصاد يجري في السياسة والثقافة، فان نمو الحاجات تدريجيا يقضي على حاجات الفرد وميوله الشخصية. وهكذا فإن ما يجري في الحقيقة هو تدمير الفرد لنفسه من الداخل، وهذا التدمير مصمم بحيث يسلمه إلى قوى مجردة ذات توجيه ميكانيكي، وعلى هذا المستوى أيضاً فإنه بمقدار ما يقتنع الفرد بأن ما يفكر به أو يشعر أو يفعله إنما هي نابعة من ذاته بمقدار ما يكون الإنسلاب لديه .

ماذا تريد الامبريالية الثقافية؟

إن تتبعنا لما يجري اليوم في العالم الثالث وفي الوطن العربي على وجه التحديد سوف يجعلنا ندرك أن الاستعمار القديم والاستعمار الجديد يستهدفان دوما صنع مناخ ملائم لإنسلاب أفراد المجتمع المغزو ، لأن مثل هذه الحالة الفكرية سوف توحد بين تطلعات المنسلب والمستَلب وبالتالي فان فرصة تحقيق مصالح المستعمر يمكن ان تتحقق وتستمر باستمرار الذهنية المنسلبة التي تضمن سيطرة المستعمر.

ففي كتاب الشؤون الثقافية والعلاقات الخارجية كتب روبرت بلم Robert Blum (1963 ص -30) يقول: **" انه التزام منا أن نفعل ما وسعنا الجهد لنمارس نفوذنا الثقافي – اي الأمريكي – بطريقة تساعد الآخرين ، وبحيث لا يكون حجم المساعدة يسمح للمبادئ**

الغربية بأن لا تمد الآخرين بشيء سوى التطلع الى تغيير غير مسيطر عليه. هذه مهمة ثقافية أساسية تستلزم تصورا واضحا لقيمنا ، وللطريقة التي فيها نرغب من الآخرين أن يشاركونا بها هذه القيم".

إن هذا المفهوم الامبريالي يرينا بوضوح كيف يتصور الغربيون مد نفوذهم الثقافي لا لشيء سوى السيطرة ونشر قيمهم الثقافية، وإذا كان الاستعمار القديم، قد دخل بأدواته العسكرية لاحتلال الأرض، فأن أدواته الثقافية جاءت لتغزو العقول، وكانت أحد الأهداف الأساسية هي نشر لغة المستعمِر في البلد المستعمَر، وللأسف أن الكنيسة في العالم الغربي تعزز الامبريالية وتدعمها، كان ذلك واضحا في المرحلة الاستعمارية وخاصة في افريقيا حيث رافقت الكنيسة القوى الاستعمارية كذراعها الثقافي في حملات الغزو... واليوم لا تختلف الرؤية كثيرا ففي مقال نشر في مجلة دينية عنوانها The Plain Truth يكتب ريموند ماك نير Raymond McNair في فبراير 1982 مقالا بعنوان اللغة العالمية يقول فيه:

"يبدو غريبا للوهلة الاولى ان ارادة اللّه رفعت اللغة الانجليزية كأداته الرئيسية التي بها سينشر ويعلن الاخبار الطيبة لمملكته القادمة لمعظم العالم في نهاية العصر.. ليست الانجليزية فحسب هي لغة الكتابة والإذاعة والكلام والتفاهم في كل القارات، ولكنها اصبحت اللغة المشتركة اللغة العالمية للدبلوماسية والتعليم والعلم والتجارة والرياضة . ولهذا فإن الإنسان يستطيع أن يرى بوضوح لماذا اختار اللّه اللغة الانجليزية كاللغة رقم واحد للوصول إلى أكبر عدد من سكان الارض مع إنذاره النهائي للبشرية وتبشيره بالأخبار الطيبة لعالم الغد. "

إن المرء لا ينكر ما للإنجليزية من انتشار عالمي وأهمية كونها لغة العلم الأولى الآن ، ولكن ما ينكره هو الروح التي وراء مثل هذا التصريح التي تطرح لغة ما بديلا للغات الشعوب ولكن هذا التصور له ما يبرره، ان التبعية التي يعاني منها العالم الثالث بشكل عام هي التي تجعل هذا التصور ممكنا، فكما يلاحظ انتوني سميث Antony Smith (1980- ص 27) إنه حتى الأن فإن دول العالم الثالث التي احرزت استقلالها السياسي في القرن العشرين ، ما زالت تعاني من تبعية اقتصادية وتبعية ثقافية.

ومن ثم فإننا نرى أن مثل هذا الاستقلال السياسي يصبح أمامه علامة استفهام كبيرة في مثل ظروف هذه التبعية.

وفي أيامنا هذه، فإن دول العالم الثالث تشعر بفداحة هذه التبعية. وما فتئت تناضل من أجل الانفكاك منها ، ولعل النضال في المجال الدولي من أجل خلق نظام اقتصادي عالمي جديد إنما هو خطوة على هذا السبيل، والذي نظريا، تعزز من خلال الوثيقة رقم 2301(s-v1) التي أصدرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة بناء على توصيات دول العالم الثالث من أجل خلق نظام اقتصادي عالمي جديد. ولعل الحوارات بين الشمال والجنوب هي خطوة اخرى على هذا الدرب. ومن أجل الانفكاك من آثار التبعية الثقافية فإن النضال في اطار اليونسكو من أجل خلق نظام عالمي جديد لتدفق المعلومات والاتصال، انما هو شعور بخطورة ما تعانيه دول العالم الثالث من هيمنة تهدد الثقافة الوطنية والشخصية، شخصية الافراد وشخصية المجتمع على حد سواء.

إن مسألة الغزو الثقافي في حد ذاتها تنبع من عدم المساواة التي تقود إلى الظلم، إن الدول الغربية التي امتلكت التقنية من صناعة الآلات إلى صناعة الأشرطة من صناعة الأقمار الصناعية إلى صناعة أجهزة الهاتف، ومع قدرتها على النفاذ إلى الأسواق العربية فقد باتت تهدد الثقافة العربية. حيث نجد العجز والتخلف الذي لا يستطيع مجاراة تلك التقنيات الغربية وإمكاناتها المادية والفنية والعلمية. ومن هنا تكمن عدم المساواة التي تؤدي إلى ظلم المجتمعات بتهديد ثقافتها الوطنية وخلق حالات من الإنسلاب لدى مواطنيها.

وسائل الإعلام المعاصرة ومجالات الهيمنة الغربية:

إن وسائل الهيمنة الغربية الثقافية تكمن في التحكم فيما يلي:

1- وكالات الانباء العالمية بما تمتلك من قدرات على نقل اخبار العالم وتشكيل التصورات عن الاشخاص والشعوب والثقافات.
2- التحكم بالاتصالات الدولية من خلال الاقمار الصناعية والاتصالات اللاسلكية.

3- التحكم بالسوق التجاري – صناعة وتسويقا – لصناعة تشكيل العقل البشري من خلال الافلام – الكتب – الاسطوانات – المجلات ... برمجيات الحاسوب. الخ.
4- التحكم بالتقنية انتاجا وتسويقا.
5- الاذاعات الموجهة.
6- الفضائيات الموجهة .
7- السيطرة الأمريكية على الإنترنت

اولا: وكالات الأنباء العالمية:

يعرف ال هستر Al Haster (1974: ص 208 – 209) وكالة الانباء العالمية بأنها تلك التي تغطي بخدماتها الكرة الارضية وبمقدروها أن تغطي الأحداث في جميع الأماكن الهامة.

وينطبق هذا التعريف على العديد من وكالات الأنباء العالمية مثل : وكالة الأنباء الفرنسية، الأسوشيتد برس، رويتر، تاس، اليونايتد برس. إن دور وكالات الأنباء العالمية أساسي في تشكيل آراء الأفراد وفي تكوين الرأي العام ، حيث معظم ما ينشر من صور عن العالم الخارجي في وسائل الإعلام العربية إنما يأتي من خلال اقنية هذه الوكالات، وقد تكون هذه الصور ذات أهمية كبيرة ولكنها تُعطي تغطية ضئيلة أو العكس. وبالإضافة إلى أن معظم الأخبار والتقارير والقصص الإخبارية حتى عن الوطن العربي ذاته مصادرها من وكالات أجنبية .

وعلى الرغم من وجود وكالات أنباء عربية محلية، فإن مهمتها في الأغلب محلية مركزة على الحاكم وأنشطته وتمجيد انجازاته وتكون مسئوليتها في الأخبار الخارجية نقل ما يصلها من الوكالات العالمية إذ تقوم الوكالات المحلية باختيار الأنباء وتوزيعها على وسائل الإعلام المحلية.

وفي أحيان كثيرة، فإن هذه المهمة – التي هي نوع من الضبط والسيطرة على الخبر الخارجي – تسهم إسهاما فعالا في خلق جو يساعد على الإنسلاب. إذ إن القارئ أو

المتسمع العربي لم يعد يثق في وسائل إعلامية التي كثيراً ما تلجأ إلى التضليل وبالتالي يهرب القارئ والمستمع العربي إلى مصادر أجنبية يعطيها ثقته وهي بدورها تقدم رؤى غريبة تسهم في بناء تصورات لدى زبائنها تنسجم مع ثقافتها وتعبر عنها.

وإنه لمن السخرية أن يكون للوكالات العالمية الدور الأكبر في نقل اخبار اقطار الوطن العربي وإعادة بثها إلى هذه الاقطار، بينما تعجز الوكالات العربية عن أداء ذلك. إن خطورة ذلك تكمن في أن ما تنقله وكالات الأنباء يتلون بمنظار ناقلها، ويتلون بمصالح البلد التي يمثلها. وهكذا تعود إلينا بضائعنا ليست مرتدية سروالا وقبعة فحسب، ولكنها تأتي مغّلفة بلغة الخواجا وتفسيره للأمور بما يتفق مع مصالحه، وإذا كان الجمهور العربي لا يثق بإعلامه فإنه بحثا عن "الحقيقة" سيتطلع إلى المصادر الاجنبية التي تقدم له الحقيقة من خلال مذاقها ومنظارها.

ثانيا: التحكم بالاتصالات الدولية عن طريق الاقمار الصناعية والاتصالات اللاسلكية:

تتحكم الدول الغربية وخاصة الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا بالاتصالات الدولية التقليدية – اللاسلكية – وبالاتصالات الحديثة وما لها من مقدرة على تحطيم العزلة والوصول إلى المناطق النائية التي لم تكن تصلها وسائل الاتصال القديمة...وعلى الرغم من الآمال الواعدة في المقدرة على استخدام الاقمار الصناعية في مجالات التعليم والتنمية، إلا أنها تمتلك بعض المخاطر التي تهدد الدول النامية التي لا تستطيع أن تستثمر جزءا من مواردها في وسائل الاتصال الحديثة ، مما يقود إلى عدم مقدرتها على تمويل وانتاج برامجها، وهذا ينطبق على البلدان العربية غير النفطية ، ومن ثم فإن من يمتلك مقدرة الإرسال من خلال الاقمار الصناعية يمتلك معها ميزة بث برامجه إلى تلك البلدان ، وحيث سيكون تأثير هذا البث على الثقافة المحلية كبيراً.

ثالثا: الإذاعات الموجهة:

لم يعد غريبا أن نجد المواطن العربي حريصا على الاستماع إلى نشرة الأخبار من محطة سوا الأمريكية أو إذاعة لندن البريطانية أو مونت كارلو الفرنسية أو صوت المانيا... إن كل هذه الاذاعات التي تقدم برامج بث بالعربية لساعات طويلة كل يوم تستهدف قبل كل شي اجتذاب المستمع العربي وتشكيل تفكيره.

إن هذه الاذاعات تكتسب جمهورا بتزايد يوما بعد يوم، مع اضمحلال الثقة بوسائل إعلامه المحلية، هذا من جانب . ومن جانب آخر ، فإن هذه الاذاعات تعد بالنسبة له إطلالة على العالم المتقدم وهي تتيح له آفاقا من المعرفة قد لا تقدمها له إذاعاته المحلية... وهي إلى جانب ذلك تعمل على غرس ثقافاتها وتخلق لدى المستمع أنماطا من الحاجات التي هي ليست حاجته، وتصنع له أبطالا ليسوا هم بأبطاله ويعيش في جو اقرب إلى الاغتراب... ويصبح على حافة الإنسلاب إذا لم يكن قد وقع فيه.

رابعا: الفضائيات الدولية:

يتم مشاهدة برامج التلفزيون الفضائية ، عبر أقمار الاتصالات الصناعية وتبدأ هذه العملية عندما تبث محطة القناة الفضائية برامجها إلى قمر الاتصالات بواسطة (الأطباق) والتي تختلف في أحجامها بحيث يصل قطرها أحياناً إلى (40 قدماً) . و كلما زاد حجم الطبق زادت جودة البث . وتعمل التلفزة الرقمية بواسطة بث قمر اتصالات يستخدم حزمة (Ku Band)، وحالما تصل الإشارة إلى القمر الصناعي فإنه يعيد بثها إلى الارض، وتكمن وظيفة الطبق بتسهيل عملية ارتداد الإشارة إلى الأرض، لتستقبلها اللواقط بتجميع الإشارات ونقلها إلى أجهزة الاستقبال المرئية (التلفزيونات). ويوفر البث الفضائي للمشاهد عرض قنوات أكثر من قنوات البث الأرضي السلكي(الأنتينا) وبنفس السعر، فإذا كان المشاهد مع البث الأرضي التلفزيون (التقليدي) السلكي بإمكانه أن يستقبل ما بين (50-90) قناة أرضية، فإنه مع البث الفضائي يمكنه الحصول على أكثر من (500) قناة فضائية عبر استقبال قمر صناعي واحد.

ولا يتأثر البث الفضائي بظروف الطقس، ويوفر للمشاهد صوراً رقمية ذات جودة عالية، تصل لكل المواقع التي تخضع لنطاق بث أقمار الاتصالات الصناعية, هذا وتوفر الفضائيات إمكانيات التفاعل وتتعامل على أساس مبدأ حقوق البث الحصرية لبرامج تُعرض عند طلب المشاهد ، الذي يستطيع التحكم والتفاعل مع البرامج، بإعادة تسجيلها أو عرض برنامجين بنفس الوقت، أو يقوم بتقديم أو تأخير أو إيقاف برامج تلفزيونية مباشرة ، مما لا يتوفر في التلفزيون الأرضي العادي.

خامساً – التحكم بالسوق التجاري لصناعة الأفلام ولبرامج التلفزيونية والأسطوانات والكتب...الخ :

تعتبر الولايات المتحدة المهيمنة الاولى على صناعة الاشرطة السينمائية في العالم وينبع مركز السيطرة الامريكية على صناعة الصور المتحركة في السوق العالمية من عدة أسباب:

أ- ضخامة الاستثمارات في قطاع السينما مع التقنية المتقدمة التي رافقت صناعة الانتاج السينمائي في هوليود ونيويورك.

ب-امتداد الشركات الامريكية إلى أسواق أخرى كفتح فروع لها في بريطانيا وفرنسا وايطاليا.

ج-الأفلام والمسلسلات الأميركية هي الأكثر توزيعا في العالم.

د-شركات الأفلام تسيطر أيضاً على شبكة التوزيع ذات الامتداد والفاعلية في العالم كله، حيث يجد المنتجون من البلدان الأخرى أنفسهم مضطرين إلى توزيع اشرطتهم السينمائية والتلفزيونية من خلال الشركات الأمريكية.

هـ- الانتاج الكمي والنوعي للأشرطة يجعل الأسواق الأخرى غير قادرة على منافسة السوق الأمريكي.

وكما يؤكد نوردنسترنغ ورفيقه فارس Nordenstreng & Vsris (1974: ص 29) بأن البرامج المستوردة في البلدان العربية معظمها من الولايات المتحدة وبريطانيا ومن

الاقطار العربية الاخرى وعلى سبيل المثال ففي لبنان 50٪ من البرامج المستوردة يأتي من الولايات المتحدة وفي مصر 70٪ من البرامج المستوردة استورد من الولايات المتحدة، واما اليمن الديمقراطي فان 25٪ من برامجه المستوردة امريكي و 15٪ بريطاني و10٪ سوفيتي.

وإذا أضفنا إلى ذلك ما يعرض في دور العرض السينمائية وأشرطة الفيديو وأقراص CD ، وال DVD ، فإننا ندرك ان السوق العربي يعاني من سيطرة سوق الأشرطة الأمريكية.

وعلاوة على هذا، ففي مجال الكتب فان قصص الاطفال المترجمة أمثال قصص ميكي ماوس، الوطواط، سوبر مان، وقصص والت ديزني تملأ الاسواق.

ونظرة فاحصة إلى المجلات الأسبوعية العربية، ترينا أن القارئ مظلوم لا يعرف حقيقة ما هو مترجم من المقالات وما هو أصيل ، فنسبة كبيرة من موضوعات المجلات العربية ترجمات حرفية للصحافة الأجنبية ، بدون ذكر المصدر أو اسم الكاتب . وفي أحيان أخرى يتم اقتباس موضوعات وتحويرها وتذييلها بتوقيع كاتب عربي. إن مثل هذه المواد الإعلامية التي يزخر بها السوق العربي كفيلة بإرباك القارئ وبخلق حالة ذهنية عربية إن لم تُستَلب بعد فإنها في طريقها إلى الإنسلاب.

سادساً – التحكم بالتقنية صناعة وتصديراً:

تتحكم الدول الغربية ومعها اليابان الأن في صناعة وتجارة تكنولوجيا الاتصالات الدولية. وهذا التحكم يأخذ لوناً من ألوان التسلط، حينما تحظر هذه الدول تصدير سلعة من سلع التكنولوجيا إلى الدول العربية على الرغم من قدرتها الشرائية على ذلك. وخير مثال على ذلك في مطلع الثمانينيات من القرن العشرين إذ أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية حظرها على تصدير معدات القمر الصناعي العربي بدعوى أن استخدام القمر الصناعي سوف يتيح لمنظمة التحرير الفلسطينية وليبيا فرصة استخدامها، وهذا حسب المفهوم الأمريكي سوف يجعل القمر الصناعي في خدمة " الارهاب " .

من خلال أساليب الهيمنة السابقة ، فإن وسائل الإعلام الغربية تنفذ إلى السوق العربية ، لتمارس دورها في التأثير على الثقافة العربية ، حيث تحاصر وسائل الإعلام الغربية الإنسان العربي بالكلمة المسموعة والصورة المتحركة ، والكلمة المقروءة ، حيث أن الإنسان في عصرنا يجد نفسه مشدوداً إلى سماع الخبر والتعليق ، وقراءة الصحيفة أو المجلة ، والاسترخاء مع قصة يقرأها ، أو مشاهدة برنامج مرئي ومن خلال ذلك كله أصبح الفرد يعتمد اعتماداً كبيراً على تحصيل المعلومات من وسائل الإعلام سواء أكان ذلك بطريق مباشر أو عن طريق شخص آخر تلقاها من وسائل الإعلام .

سابعاً – التحكم بالإنترنت وأحقية الولايات المتحدة باحتكاره:

تنفرد الولايات المتحدة بالإشراف على أنظمة الإنترنت الرقمية ومراقبتها والتحكم بأنظمة شبكة الإنترنت، وأكدت عزمها على متابعة مراقبة الشركات وأنظمة الاتصالات العالمية الرقمية التابعة لها من خلال مؤسسة الإنترنت للنطاقات والأرقام ICANN، ومقرها ولاية كاليفورنيا الأمريكية، وتتبع وزارة التجارة الأمريكية، وهي التي تحتكر عمليات التحكم والإشراف على نطاقات المواقع الإلكترونية في مختلف دول العالم ، فضلاً عن أنظمة الاتصال العالمية المرتبطة بها. وتتمتع الولايات المتحدة وحكومتها بـ"إدارة مفوضة" حول عمليات التحكم على الويب، إلا أنها كذلك صاحبة القرار النهائي على كامل القرارات المتعلقة بشأن شبكات الاتصال الرقمية في العالم.

وكثّفت دول أوروبية وآسيوية عديدة، على رأسها دول الاتحاد الأوروبي والصين وإيران وكوبا، مطالبها الاحتجاجية لإيجاد قاعدة مشتركة، وتحكم دولي متعدد الأطراف لتسمية أسماء ونطاقات (Domains) المواقع الإلكترونية تتفق ومعايير الدول المذكورة، دون تدخلات مباشرة داخل إطار عالمي منسق. ونادت بإيجاد إطار جديد من اتحاد المؤسسات الرقمية من جهة، وبين الحكومات المختلفة ومشاركة القطاع الخاص من جهة أخرى، للإشراف على عمليات التحكم بأنظمة الويب

وكانت الأمم المتحدة قد أوصت قبيل انعقاد مؤتمر مجتمع المعلومات 2005 بتونس – الذي انعقد تحت إشرافها-في تقرير شمل مجموعة اختيارات متوازنة حول آلية مراقبة شبكات الإنترنت وآلية عملها وهي:

1. إيجاد إطار إنترنت عالمي يسمح بإنهاء تفرد الولايات المتحدة المباشر بشبكة الإنترنت.
2. زيادة انخراط اللجان الاستشارية للمؤسسة الرقمية العالمية ICANN في عملية التحكم والإشراف بطريقة تكفل هامش حرية أكثر.
3. إيجاد أقاليم منفصلة لأنظمة نطاقات الويب، ومناقشة أي تغييرات محتملة على هذا الصعيد.
4. تحويل اهتمام المؤسسة العالمية ICANN لتكون بمثابة المراقب التقني والعالمي بعيداً عن سياسات الولايات المتحدة.

ولكسر الاحتكار الأمريكي أنشأت المفوضية الأوروبية عام 2006 نطاقا لتسجيل أسماء المواقع والعناوين الالكترونية على شبكة الإنترنت كخدمة أوروبية مشتركة، بحيث يمكن للشركات والمؤسسات الأوروبية والأفراد الاشتراك فيها من خلال تسجيل مواقعهم. هذه الخطوة ينظر لها كوسيلة للتحرر من التبعية وكبداية لكسر السيطرة الأمريكية على الشبكة العنكبوتية الخدمة الجديدة تحمل الأحرف المختصر لاسم الاتحاد الأوروبي بحيث سيكون اسم النطاق الأوروبي الجديد Dot-eu. ومن الآن فصاعدا فإنه بإمكان الشركات والمؤسسات الأوروبية والأفراد تسجيل مواقعهم على نطاق Dot-eu بدلا من نطاق Dot-com العالمي الشهير مثلا أو للنطاقات الوطنية الخاصة بكل دولة. (عبده جميل المخلافي نطاق أوروبي للإنترنت يكسر الاحتكار الأمريكي للشبكة العنكبوتية 07.04.2006)

تعريب أسماء المواقع الانترنت نقلة نوعية على طريق التحرر من التبعية

تبنت الدول العربية قرارا لتعريب الانترنت ، وأسوة بغيرها من اللغات العالمية لتضييق الفجوة المعلوماتية بين العالم العربي والغرب ، وذلك بإيجاد بيئة عمل تجريبية لمواقع الإنترنت العربية (أسماء النطاقات) بما يؤهل بلدان العالم العربي لتشغيل أسماء

النطاقات باللغة العربية، وذلك لتوسيع مدي نشر وزيادة استخدام الانترنت في الدول العربية من خلال إزالة العوائق اللغوية التي تواجه المستخدم العربي الذي لا يعرف الانجليزية ، ومما يؤدي إلى زيادة المحتوى العربي لدعم انتشار الثقافة العربية وسهولة الوصول إلى المعلومة لكل الناطقين باللغة العربية، الدخول للمواقع باستخدام اللغة العربية على شبكة الانترنت العالمية.

وحصلت المملكة العربية السعودية و دولة الإمارات العربية المتحدة وجمهورية مصر العربية على الموافقة النهائية على استخدام أسماء النطاقات العربية التي تمثلها على شبكة الانترنت حيث حصلت المملكة العربية السعودية على الامتداد (.السعودية) وحصلت دولة الامارات العربية المتحدة على الامتداد (.امارات) وحصلة جمهورية مصر العربية على الامتداد (.مصر) وذلك من خلال المسار السريع الخاص بتسجيل أسماء وهذه الثلاث دول بالإضافة إلى روسيا تمثل أول (IDN ccTLD) النطاقات العليا المُدوّلة . دول في العالم تحصل على امتدادات نطاقات بلغة غير الإنجليزية.

وسيتم في الفترة القادمة تسجيل واستخدام أسماء النطاقات العربية بشكل رسمي بحيث يمكن الوصول إليه من أي مكان في العالم، وذلك بعد إنهاء كافة المتطلبات والإجراءات اللازمة لبدء عملية التسجيل وستقوم مراكز التسجيل في تلك الدول بالإعلان .عن المواعيد و الإجراءات وكافة التفاصيل عبر القنوات المختلفة

يذكر أن المنظمة العالمية (آيكان) المسؤولة عن إدارة مصادر الأرقام والأسماء على الانترنت قد قامت بفتح المسار السريع الخاص بتسجيل النطاقات العليا المدولة أمام الدول الراغبة بتسجيل نطاق علوي بلغتها المحلية في الـ 16 من نوفمبر 2009م

http://343networks.wordpress.com/2010/06/02/ثلاث-دول-عربية-تحصل-على-أول-إمتدادات-لن/

تأثير وسائل الإعلام من خلال التزويد بالمعلومات :

يتضمن اعتمادنا على المعلومات التي نتلقاها من وسائل الإعلام، مجموعة من التأثيرات على الفرد والمجتمع . وكما يرى روبرتس Roberts (1977 ص. ص 379 – 384) أن وسائل الإعلام لها القدرة الهائلة على توجيه أنظار الجمهور إلى ما تنشره من معلومات ، فالجمهور عادة ينظر إلى هذه المعلومات على أنها هامة ، ومن ثم فأنها تؤثر على قناعاته . كذلك فإن وسائل الإعلام تنشر صوراً محرفة ومنحازة حول الظروف المحيطة بنا ، وإذا كان الجمهور غير قادر على نقد مضمونها ، فإن مثل هذه المعلومات ستصبح جزءاً من تصوراته وقناعاته. وأيضاً فإن وسائل الإعلام تحجب عن النشر معلومات هامة ، ولذا فإن عدم وصول المعلومات الكاملة التي توضح الحقيقة للجمهور ، يمكن أن يُحّرف الطريقة التي بها ينظم الجمهور تصوراته للواقع ، وعلاوة على ذلك ، فإن المعلومات التي يستقيها المرء من وسائل الإعلام – وخاصة فيما يتعلق في الأمور الجديدة عليه – لديها القدرة في التأثير على الشخص خالي الذهن من تلك الموضوعات .

وعلى سبيل المثال يمتلك التلفاز قدرة كبيرة في التأثير على الأطفال الذين هم في مرحلة التنشئة الاجتماعية ، إذ أنهم مستعدون لاستقبال والاقتناع بأي معلومة جديدة تصلهم ، وبذا يصبح التلفاز هو أحد وسائل التنشئة الاجتماعية الهامة في مجتمعنا .

وأخيراً فإن وسائل الإعلام التي تؤثر على معرفة الإنسان من خلال المعلومات تؤثر على سلوكه وعواطفه وقيمه وآرائه ، لأن المعرفة تشمل في أحيان كثيرة على نماذج جديدة من السلوك والقيم والآراء القابلة للاحتذاء .

أشرنا في البدء إلى أن تأثير وسائل الإعلام العربية في المواطن العربي يحتاج إلى بحوث ميدانية ، ولكن علينا أن ندرك أن مثل هذا التأثير لا يتم فور تعرض الجمهور للرسالة الإعلامية ، وخاصة فيما يمس تغيير قيم الإنسان وآرائه ومواقفه . إن فعالية التأثير ليست فورية ، ولكن يمكن أن تصبح حقيقة مع مرور الزمن . فالبرامج الإعلامية الغربية تمثل قيماً مختلفة وتعبر عن ايديولوجيات مختلفة وحينما يتعرض الجمهور لها

بشكل منتظم ، فإن لها تأثيراً كامناً يتعزز مع تكرارها وتتسرب إلى ذاته وقيمه مما يشكل تهديداً للقيم وللثقافة العربية ، ومما يسهم في خلق شخصية منسلبة ثقافياً .

الإذاعة المرئية (التلفزيون) الوسيلة الإعلامية الخطيرة :

إذا كنا معنيين بوسائل الإعلام الغربية على الإنسلاب الثقافي ، فأننا نرى أن أخطر الوسائل الإعلامية الأن في تهديد ثقافتنا القومية هو الجهاز المرئي . فهو الوسيلة الإعلامية الأولى المفضلة لدى الناس وخاصة ، برامجه الترفيهية ، وحيث أن نسبة كبيرة من البرامج الترفيهية تأتي من الغرب وحيث أن البرامج الترفيهية لا تقل نسبتها عن 50٪ من جملة البرامج في الإذاعات المرئية العربية ، فإن هذا يعني أن الجمهور العربي يقضي أسبوعياً نسبة لا يستهان بها من الساعات لمشاهدة الأشرطة وبرامج المنوعات الأجنبية .

هذا مع الإشارة إلى أن بعض البلدان قد تبنت قنوات خاصة لبث البرامج الأجنبية مثل الأردن والكويت وتونس وليبيا والإمارات والسعودية بدون دراسة لمدى تأثير البرامج الأجنبية على جمهورها العربي .

وإذا تتبعنا الفضائيات العربية التي أنشأت قنوات تبث باللغة الإنجليزية والمخصصة فقط للدراما الأجنبية – الأمريكية تحديداً – وبعضها موجهه للأطفال مثل قنوات MBC الثانية والثالثة والرابعة و MBC Action وتلفزيون دبي القناة الثانية وغيرها الكثير فإنها تسيطر على شريحة كبيرة من المشاهدين العرب .

وإذا أدركنا أن أكثر المولعين بمشاهدة تلك البرامج الأجنبية هم من اليافعين الذين في طور التكوين الفكري ، ولذا فأن الإذاعة المرئية يجب أن تلقي عناية خاصة للأسباب التالية :

1- حيثما وجد التلفزيون فإنه يحل عادة محل وسائل الإعلام الأخرى . على سبيل المثال ففي فترة البث المرئي ، فإن أهل البيت لا يستمعون إلى المذياع وحينما يكون هناك شريط مرئي فأن الطالب يفضل مشاهدته على قراءة دروسه .

2- إن التلفزيون وسيلة إعلامية جماعية يشاهدها الأطفال والكبار والنساء والرجال ، فهو أداة اجتماعية ، تؤثر بمجرد تواجدها على بعض العادات مثل الزيارات العائلية وطبيعة العلاقات الأسرية .

وإذا أضفنا دخول الفيديو وأجهزة عرض CD و DVD إلى كثير من البيوت ، وبأشرطتها الأجنبية ، فإن هذا جعل من كل بيت لديه جهاز منها هو عبارة عن محطة بث خاصة التي تجعل التلفزيون أهمية خاصة في تنشئة الأطفال .

إن التطور الذي حصل باستخدام الكمبيوتر لاستقبال القنوات الفضائية التلفزيونية والإذاعية بالإضافة إلى تشغيل أقراص CD و DVD تحتاج إلى نظرة جادة لحماية أطفالنا وشبابنا .

إن معظم الأشرطة الأجنبية التي تعرضها محطات الإذاعات المرئية العربية تستورد من الولايات المتحدة . ونظرة إلى المسلسلات والأفلام وبرامج السهرة في معظم الأقطار العربية تجعلنا نجد مسلسلات أمريكية . تحمل هذه المسلسلات معها ثقافة المجتمع الأمريكي وقيمه ، وتقدم صوراً لذلك المجتمع . وخطورتها أن المتفرج العربي لا يمتلك القدرة أو الحس النقدي لما يشاهد. وما تقدمه هذه الأشرطة تبهره بدءاً من السيارات الفارهة إلى صورة الحياة الأمريكية وانتهاء بشخصية الفرد – البطل – ويرى كومستوك ورفاقه Comstock et al. (1978:ص 385) ، إن هناك ثلاث عمليات سيكولوجية ترافق الوسيلة الإعلامية بتأثيرها على جمهورها .

1. تصور المشاهد الفوري لما يشاهده وتفسيره الأني لمضمون الرسالة الإعلامية.
2. عملية ذاتية تتم داخل الفرد ذاته .
3. الظروف المحيطة التي تسيطر وتتحكم في الفرد من حيث ماذا وكيف يتعلم ؟

يمكن من خلال العمليات الثلاث بها أن يتم أو لا يتم الإنسلاب الثقافي . لنأخذ مثلاً شخصية ستيف اوستن بطل مسلسل Six Million Dollar Man – يعتمد تصور المرء لهذه الشخصية على عدة عوامل منها مستواه التعليمي ، وثانياً ، موقفه الفكري وبالتالي

قدرته النقدية على قراءة معنى أن يكون الإنسان آلياً ذا قيمة تبلغ مليون أو ألف مليون دولار ... إن التصور الفوري يختلف من شخص إلى آخر كما أشرنا . وإذا كانت الظروف المحيطة التي تسيطر وتتحكم في التنشئة الاجتماعية كالأم والأب يمكنها أن تكسب القصور الآني تفسيرات أخرى ، إلا أننا لا نستطيع أن نعتمد عليها كلياً ، حيث أن جماهيرنا في غالبها أمية ، وحتى أن نسبة كبيرة من المتعلمين هم أشبه بالأميين ، إذ أنهم لا يمتلكون الحس النقدي القادر على التمييز . ومن هنا ففي العملية السيكولوجية الذاتية التي تتم داخل الفرد ذاته يكمن خطر التأثير الإعلامي الغربي في تكوين شخصية منسلبة ، تلك التي تمثل شخصيات غربية وقيماً غربية.

وفي دراسة أعدها توفيق فرح (1977 : ص ص 96 – 97) حول التنشئة السياسية الاجتماعية للأطفال الفلسطينيين جاء ما يلي :

" حاولنا أن نميز قيم الأطفال من خلال اسئلة اختبارية تشتمل السؤال : من هو بطلك ؟ فالغالبية الساحقة اشارت إجاباتهم على أنه أحد أعضاء المقاومة الفلسطينية مثل : الفدائي ، أبو عمار أبو علي اياد ، ليلى خالد ، واثنان ذكرا اسمي نجميّ كرة قدم ، وطفل ذكر أنه الرجل الذي كلف ستة ملايين دولار وكم من الأطفال الآخرين ينظرون إلى شخصيات كهذه باعتبارها نماذج وأبطالها المفضلة وكم تخلق هذه الأفلام من الصور المشوهة لدى الأطفال ؟

تأثير التليفزيون : يتمثل تأثير التليفزيون فيما يلي :

إن يستهلك وقتاً كبيراً من وقت الأطفال والمراهقين ، في حين أن هذا الوقت كان يمكن أن يستمر في نشاطات أكثر فائدة . وخاصة أن معظم البرامج التي يشاهدها هؤلاء الأطفال والمراهقين ليست مخصصة لهم ولا تلبي حاجات التنشئة الاجتماعية .

1- إن ما يعرض يمثل في أغلب الأحيان نماذج للاجتذاب بدون القدرة على التمييز بين السيء والحسن من الشخصيات . ويؤثر الجهاز المرئي على توقعات المشاهد وسلوكه بمشاهدة شخصيات مختلفة ... وقد تؤثر بدورها على طموحات المشاهد الوظيفية .

2- يـؤثر التلفزيـون (كأحـد وسـائل التنشـئة الاجتماعيـة) علـى المعتقـدات والقـيم وصياغتها . ويؤدي التعرض لقيم مختلفة من خلال البرامج الغربيـة المختلفـة إلـى خلـق الاضطراب في الشخصية وبحثها عن البديل وذلك أحد مظاهر الاستلاب .

3- إن العنف الذي يصاحب كثيراً من البرامج الأجنبية يخلق ظروفاً نفسية يمكن أن تعزز الميل لسلوك العدواني .

4- إن الإعلانـات التجاريـة يمكـن أن تخلـق رغبـة فـي الاسـتهلاك غيـر ضـرورية لـدى المواطن وكذلك فأن الإعلان التجاري عن أشياء الأطفال يمكن أن يؤدي إلـى ضـغط غيـر أخلاقي على الأباء لشراء ما يرغبه الأطفال ، وهم غير قادرين على ذلك أو غير راغبين به .

5- يقف التلفزيون في أحوال كثيرة جنباً إلـى جنـب مـع المؤسسـات التقليديـة للتنشـئة الاجتماعية مثل العائلة والمدرسة ، ولكن خطورته أنه حر من العديد من الكوابح والموانع الأخلاقية المفروضة على هذه المؤسسات التـي تتعامـل مـع الطفـل . ومـن ثـم يتعـرض الأطفال في مشاهدتهم للبرامج الغربية إلى عالم الكبار قبل أن ينضجوا نفسياً علماً بأن مثل هذا التعرض يقود إلى خلط القيم لدى الأطفال .

دور الفضائيات والإنترنت:

بات التطور التكنولوجي في مجال المعلومات والاتصال يدعو إلـى الخشـية مـن سـطوتها وتأثيرها على المجتمعات لتشكيل نمط موحد ومشتركا بين شعوب العالم.

ازداد الإقبال على الإنترنت إلى درجة أنهـا تحولـت إلـى ظـاهرة سـائدة فـي معظـم بقـاع العالم وتستقطب كل يوم مشاركين جدد يرغبون دخول مجتمع افتراضي أضـحى سـاحة تفاعلية يبحث فيها مستخدم الإنترنت عن الأخبار والمعلومات والتفاعل الاجتماعي.

لقد بدا واضحا أن مجتمعات الإنترنت بدأت تتغلغل بشكل كبير في الحيـاة اليوميـة لـدى العديد من الأشخاص، لدرجة أنها أضحت ظـاهرة سـائدة لا تخلـو منهـا معظـم مجتمعـات العالم. وفي ظل تزايد الإقبال على تكوين مجتمعات الإنترنت والمشاركة فـي مجتمعـات افتراضية تجمع في العادة بين أفراد لهـم اهتمامـات مشـتركة أو طلبـة الجامعـات، لجـأت

العديد من مواقع تلك المجتمعات إلى تطوير واستحداث أدواة استخدام جديدة لتسهيل التفاعل بين أعضائها. وعمدت الشركات القائمة على تلك المواقع إلى توسيع الأفق التفاعلي بين الأعضاء عبر فتح مجالات تفاعلية جديدة أمام مستخدمي تلك المجتمعات بغية توفير تواصل متعدد الجوانب.

أصبحت الأدوات التفاعلية متاحة في الإنترنت في ضوء انتشار الشبكات الاجتماعية ومواقع الاتصالات الهاتفية عبر الإنترنت ومواقع الفيديو داخل المجتمعات العربية. ونذكر من بينها على سبيل المثال: موقع يوتوب وفيسبوك وسكايب. إذ يكثر الإقبال بالدرجة الأولى على هذه المواقع من قبل الشباب لأنهم يهتمون بالبحث عن معلومات جديدة في الإنترنت ويشاهدون ملفات الفيديو التي تحتوي على مسلسلات تلفزيونية أو أفلامهم المفضلة.

وهنا يبدو لكل معنيّ بالثقافة الوطنية/القومية وجاهة التساؤل حول الخطر الجارف مما يسميه البعض بالاستعمار الثقافي أو الإمبريالية الثقافية أو الاستعمار الإلكتروني ، ولا شك أن المخاوف في مثل هذا الحال تبدو مبررة، وخصوصاً إذا علمنا أن ما تعرضه التلفزيونات العربية بل والمحطات العربية التي تبث بالإنجليزية والمحطات الأجنبية التي تستهدف الجمهور العربي مثل الحرّة و BBC والفرنسية والروسية والألمانية والصينية ، كذلك يكاد يطغى عليه الإنتاج الغربي وتحديداً الأمريكي. بالإضافة إلى هيمنة الشبكات الأمريكية الكبرى مثل: ABC و NBC وCBS و CNN ، وإنتاج هوليود السينمائي والتلفزيوني وهيمنتها ووكالات الأنباء في مجال إنتاج السوق الإعلامي لا تحتاج إلى ايضاح. وتخلق الفضائيات الآن بتنوعها مسرحا واسعا يشارك فيه الجمهور أحيانا بإدارتهم وأحيانا بدونها، ويشكل الأسلوب الذي تطرح فيه القضايا نوعا من الدكتاتورية لا تسمح للمتحاورين التعبير عن آرائهم أو إنضاجها بشكل كامل.

ناهيك عما يتوفر الآن من معلومات ومواقع أجنبية أو أجنبية باللغة العربية على شبكة الإنترنت.

وما تقدمه هذه المعلومات تشكل محورا أساسيا لفهم التحديات الاقتصادية لوسائل الإعلام في المستقبل ، إن المؤشرات توحي بأن المضمون سيكون هو مجال الاستثمار الأكثر ربحية . وسيكون بإمكان الشبكات الاتصالية تقديم خدمات الهاتف مجانا ذلك أن استخدام الألياف البصرية والبث الرقمي جعل الاتصال قادرا على نقل المعلومات والبيانات بقدرات وإمكانيات هائلة ورخيصة التكاليف وعالية الجودة .

- هذا كله سيقود إلى تأثيرات مجتمعية ذات صلة بعملية الحرية والإبداع وتثير تساؤلات حولهما في عصر التقنية الاتصالية العالية . فيضان المعلومات عبر الإنترنت ، ، حتى في مجال التخصص الدقيق لن يظل مفتوحا بالمجان ، وحرية الاختيار المتاحة له الآن تجعل من ضخامتها عبئا ثقيلا من حيث قرار ما يمكن أن يختار وما يمكن أن يُهمل ، والمرء الذي يجمع بيانات من الإنترنت يعاني عند جلوسه بجمع المعلومات من فرزه لما جمعه والتخلص مما يمكنه الاستغناء عنه، وخصوصاً أن موقعاً واحداً سيقوده إلى نصوص متفرعة في مواقع أخرى عديدة.

وتقود إمكانيات التواصل التفاعلي الأشخاص العاديين إلى تفعيل دورهم بنقلهم للأخبار الإلكترونية والتعبير عن آرائهم بما يجري بحرية كبيرة ، الآن مما سيكون له التأثير على وسائل اتصالية قائمة ، كوكالات الأنباء ، فستصبح الأنباء الإلكترونية لها دور أكبر في نقل الأخبار وتفاعل الناس معها . وسيصبح لمستخدمي الإنترنت العاديين دورهم في نشر الأخبار وخصوصا تلك التي تخفيها وسائل الإعلام الرسمي، والمدونات هي خير مثال على ذلك، بالإضافة إلى المواقع الإخبارية الإلكترونية والتي نمت نمواً كبيراً خلال الأعوام الثلاث الأخيرة مما سيعزز الصحافة الشعبية البديلة .

ثمة مؤشرات عديدة كمية إحصائية ونوعية ثقافية تدلّ على ضآلة المضامين العربية الموجودة في شبكة الإنترنت . ومن هذه المؤشرات مثلا مكانة اللغة العربية في موسوعة ويكيبيديا، إذ تحتل اللّغة العربية المرتبة الثانية والثلاثين بين لغات العالم، تسبقها في ذلك لغات أخرى لا يقارن حجم الناطقين بها بحجم الناطقين بالعربية (أنظر ترتيب اللغات في ويكيبيديا حسب عدد المقالات).

نتائج الغزو الثقافي الغربي :

لقد أدى الغزو الثقافي الغربي من خلال وسائل الإعلام إلى النتائج التالية والتي بحاجة إلى دراسات معمقة :

1- التأثير على الثقافة التقليدية : ويظهر هذا بوضوح بتأثيرها على الفلكلور وانحدار الفنون التقليدية واختفاء بعض اشكالها ولعل التأثير على الأغاني والموسيقى الشعبية مثال واضح للجميع وبروز الفيديو كليب من أكثر الأشكال وضوحاً .

2- خلق ثورة التوقعات : التي قال بها ليرنر Lerner حيث أن لوسائل الإعلام مفعولها للإطلالة على العالم الخارجي تزود الناس بتوقعات وطموحات من الصعب اشباعها مما يؤدي إلى زيادة الاحباط . وهذا يقود أحياناً إلى البحث عن عالم من التوقعات في خارج حدود الوطن ، من خلال الكلمة أو الصورة ، وتصبح تلك النماذج الخارجية وكأنها عالمه المثالي الذي يحلم به ومن هنا تتأتى صورة من صورة الإنسلاب .

3- تقديم ثقافة الاستهلاك المواطن العربي : وذلك من خلال الاعلانات التي تشجع الروح الاستهلاكية على حساب الانتاجية ولذلك أسهمت اسمهاماً فعالاً في خلق ذهنية استهلاكية تقع ضحية الاعلان . وتتابع ما يستجد من بضائع .

4- تقديم قيم غربية : تقدم البرامج الغربية قيماً تعكس ثقافات مجتمعها ، مما يؤثر في تشكيل القيم العربية السائدة ويعمل على تغييرها ، وهذا بدوره يؤثر على مواقف الأشخاص ويخلق لديهم نوعاً من الوعي المصطنع الذي يقود إلى الإنسلاب .

5- خلق صورة مشوهة عن العالم الخارجي بما يخدم الغرب : ومما يؤدي إلى تحريفات في تصور المرء لواقعه . وهذا يؤدي إلى تمثل الأشخاص بالصور التي فرضت عليهم وقبولها وكأنها واقعهم أو نماذجهم القابلة للتقليد والاحتذاء .

6- التأثير على الروح المعنوية على مستوى فردي وجماعي .

أن التركيز في الصفحات السابقة على أهمية تأثير وسائل الإعلام الغربية على إنساننا العربي وثقافته ، لا يعني قفل الأبواب أمام الثقافات الأخرى ، ولكننا نوجه الأنظار إلى خطورة ما يمكن أن تؤدي إليه من انسلاب ثقافي في وطننا العربي ، ومن ثم يكون البحث عن سبيل حماية الثقافة القومية بدون انغلاق ضرورة ملحة . ذلك أن تحقيق الإنسلاب هو أحد أهداف الدعاية ونحن إذا كنا نؤمن بشمولية الفكر الإنساني ، فإننا نؤمن بخصوصية تطبيقه وبخصوصية الثقافة . إن النظريات والفلسفات سواء أكانت من الشرق أو الغرب إن كانت صالحة فهي تصلح في إطارها الثقافي التاريخي والاجتماعي. ومع هذا فإننا لا نريد من هذا انغلاقاً يؤدي إلى بحث عن سلفية تكون مجرد رد فعل عاجز للتحديث والتحدي الخارجي، أو مجرد دفاع متقوقع على النفس . ولا نريد انسلاخاً عن ثقافتنا بحيث تخضع لتبعية الثقافات الأجنبية. إن ما نريده وما نحتاج إليه فكر نقدي ينبع من خلال واقعنا وتجربتنا، فكر متفتح قادر على الاستفادة من تجارب الآخرين في هذا العالم الذي تمتد أطرافه، ولكن تضيق المسافات بين أبعاده في ظل تشكيله اتصالياً .

إنا لا نريد أن نرى الإنسان العربي ضائعاً غريباً في بلده ولا نريد أن نرى بين صفوفنا صورة الشخصية المنسلبة كما يصفها ناثيلد نيل Nathilede Neil (1966، ص ص 335-336) بقوله :

" الإنسان المنسلب لا يمكن أن ينجح سواء في أن يكون نفسه أو في أن يعيش في حالة تركيب خلاقة مع البشر والأشياء الأخرى . أنه لا يعيش مع الحاضر وهو مهتم فقط بالمستقبل مما يقوده إلى البحث عن نوع من المطلق ، أو يقوده إلى رغبة في الانسجام مع النموذج المثال. إن الإنسان المنسلب لا يفكر أو يعمل بذاته ، إنه دائما يعزو الأمور إلى شخص آخر خارج ذاته .. مثل التقاليد و العقيدة والأيدلوجية ومخلوق مبهم . إنه لا يعرف كيف يعيش في حوار مع الآخرين أو بسلام خارجي . إنه دائماً في حاجة إلى شخص آخر ، ليقدّسه أو يخدمه ، يكرهه أو يقاتله . إنه يقضي حياته متعقباً شيئاً : إما مادي الهدف – والذي يتحول إلى مطلق مثل الرغبة في الثروة أو الراحة أو رموز الوجاهة – وإما روحي الهدف وهو يتحول أيضاً إلى مطلق

مما يقوده إلى ازدراء الحياة والعالم . وهو يعتقد أحياناً أنه حصل على المطلق ، ومن ثم فإنه مبتهج ومتوقع ، وأحياناً أخرى يشعر بالإحباط ، ومن ثم فهو يائس وقانط يقضي حياته في الرغبة والأمل والتطلع والعبادة والاستخفاف . الإنسان المنسلب المتوتر متأهب للقتال ، عنيف وضيق الأفق ، غير متسامح وسلطوي ، إنه الإنسان العاطفي ولكنه أيضاً إنسان جبان يخشى السلطة ، ويخشى أن يفكر ويفعل كما يفكر الآخرون ويعملون . إنه جبان هياب ممتثل ، إنه إنسان " قطيعي " .

مقترحات :

حيث أننا معنيون بدراسة أشكال التبعية الثقافية في الوطن العربي كواحد من أهداف الدعاية فأن هذه المسؤولية لا يمكن أن تتم من خلال جهد الأفراد . إن دراسة وسائل الإعلام وتأثيرها على الأفراد والمجتمعات تجد اهتماماً خاصاً في معظم أنحاء العالم ، في هذا العصر الذي أقل ما يُوصف بأنه عصر الاتصال الجماهيري .

وللأسف، فأن الجامعات العربية التي تهتم بتخريج الإعلاميين، لا تهتم بتخريج الباحثين، الذين يدرسون تأثير وسائل الإعلام في المجتمع . ولعل هذا العجز تقع مسؤوليته كذلك على علماء الاتصال والاجتماع والانثروبولوجيا وعلم النفس والسياسة، الذين تعنيهم وسائل الإعلام وتأثيرها في الأفراد والمجتمع والثقافة . وحيث يفتقر الوطن العربي إلى مركز للدراسات الميدانية الإعلامية ، فإن التركيز على إنشاء مراكز أبحاث للدراسات الإعلامية العربية ، إعداد دراسات حول تأثير وسائل الإعلام على الأفراد والجماعات والثقافات يصبح أمراً لازماً مع انتشار الفضائيات والإنترنت واعتقد أن مركز البحوث التابع لجامعة الدول العربية سوف يتيح له فرصة تعاون الباحثين من كل أقطار الدول العربية سيتيح إمكانية اجراء بحوث ميدانية في كل الأقطار العربية ، ومن ثم فأن مسؤوليات هذا المركز – أو لنقل أن مسؤوليات البحوث الإعلامية الملقاة على عاتق الإعلاميين وعلماء الاتصال والنفس والاجتماع والانثروبولوجيا العرب – تتمثل فيما يلي على سبيل المثال لا الحصر :

1- بحوث ميدانية ومسحية عن تأثير البرامج الأجنبية في المواطن العربي وخاصة الأطفال واليافعين .

2- بحوث ميدانية ومسحية عن تأثير الإعلانات في المستهلك العربي .

3- إجراء دراسات تعتمد على أسلوب تحليل المضمون لما ينشر في الصحف العربية من أخبار عالمية وتأثيرها في الأفراد .

4- دراسات تعتمد أسلوب تحليل المضمون لما ينشر في الصحف العربية من دراسات ومقالات مترجمة وتأثيرها في الأفراد .

5- بحوث ميدانية عن برامج الأطفال وتأثيرها في تكوين شخصية الطفل .

6- بحوث عن تأثير الثقافات الأجنبية على التراث الشعبي .

7- دراسات عن قصص ومجلات الأطفال أمثال السوبرمان والوطواط ودورها في تشكيل تصورات الطفل للعالم الخارجي .

8- دراسات عن تدفق المعلومات بين أقطار الوطن العربي .

9- دراسات عن تدفق المعلومات من العالم الغربي إلى الوطن العربي .

10-دراسات عن البرامج الإذاعية المسموعة والمرئية ومدى تخصيصها لبرمجها الثقافية والترفيهية .

11- إن اهتماماً خاصاً يجب أن يركز على دراسة تأثير إذاعة العدو الصهيوني المرئية والمسموعة على المواطن العربي وخاصة في المناطق المحيطة بالكيان الصهيوني مثل الأردن وسوريا ولبنان ومصر والأراضي المحتلة .

12- دراسات عن دور وسائل الإعلام في التنمية .

13- دراسات عن تأثير الإذاعات الأجنبية كإذاعة لندن ، مونت كارلو ، سوا ، وغيرها على الرأي العام العربي .

14- ترجمة أهم النظريات والأبحاث الإعلامية من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية .

هذه بعض المقترحات وتظل مسألة تأثير وسائل الإعلام الغربية على الثقافة العربية أمراً نظرياً ما دمنا لم نقم بإجراء الدراسات والبحوث حولها وتلك مسؤولية عسيرة .

REFERENCES

- Anthony (1980) The Geopolitics of International : How Western Culture Dominates the
- Blum, Robert (ed) (1963) Cultural Affairs and Foreign Relations. Englewood Cliffs, N.J.U.S.A. Prentice-Hall, Inc.
- Blum, Robert (ed) Cultural Affairs and Foreign Relations. Englewood Cliffs, N.J. U.S.A Prentice-Hall, Inc.
- Comstock, George, et al (1978) Television and Human Behavior, New York ; Columbia University Press.
- Comstock, George, et al (1978) Television and Human Behavior. New York ; Co lumbia University Press.
- Ellul , Jacques, (1973) Propaganda : The Formation of Men's Attitudes. New York : Random House, Vintage Books.
- Ellul, Jacques, (1973) Propaganda : The Formation of Men's Attitudes. New York : Random House, Vintage Books.
- Farah, Tawfic (1977) " Political SOCIALIZATION Of Palestinian Children in Kuwait " in Journal of Palestine Studies : Vol. VI, No.4 Summer 1977 issue 24 PP.90-120.
- Farah, Tawfic (1977) "Political SOCIALIZATION of Palestinian children in kuwait" in Journal of Palestine Studies : Vol. VI, No. 4 Summer1977 issue 24 pp. 90 – 102
- Haster, Al (1974) " International News Agencies " in Mass Communications : A World View , (ed) . Alan Wells, Palo Alto, California : Mayfield Publishing Co.
- Haster, Al (1974) "International News Agencies" in Mass Communications: A World View. (ed) Alan Wells. Palo Alto, California: Mayfield Publishing Co.

- Lerner, Daniel (1964) The Passing of Traditional Society : Modernizing the Middle East, London : Collier-Macmillan Limited, The Free Press of Glencoe.
- Lerner, daniel (1964) the passing of traditional society: Modernizing The Middle East, London: Collier – Macmillan Limited, The Free Press of Glencoe.
- McNair, Raymond (1982) " The International Language " in The Plain Truth , Vol 47 No. 2 February 1982.
- Mcnair, Raymond (1982) "The International Language" in the Plain Truth. Vol 47 No. 2 February 1982.
- McPhail, Thomas L. (1981) Electronic Colonialism : The Future of International Broadcasting and communication Beverly Hills-London : Sage Publication.
- Niel, Mathile (1966)" The Phenomenon of Technology : Liberation or Alienation of Man" in Socialist Humanism. (ed) Erich Fromm Garden City , New York : Doubleday & Co, Anchor Books.
- Nordesntreng Kaarle and Tapic Varis (1974) Television Traffic One Way Street ? Paris : UNESCO.
- Roberts, Donald F. (1977) " The Nature of Communication Effect " in the Process and Effects of Mass Communication , (ed) . Schramn and Roberts. - Schalz, Oskar & Ernest Florian Winter, (1966) Alienation, Marxism, and Humanis (A Christian viewpoint) in Socialist Humanism, (ed) Erich Fromm, Garden City New York: Doubleday & Co. Anchor Books.
- Smith,Anthony (1980) The Geopolitics of Information: How Western Culture Dominates the World. New York Oxford University Press.